المحاضرة الأولى: قراءة في مصطلح السّرديات العربية الحديثة والمعاصرة.

* مفهـــــوم السّـــــــــــــــــرد
* إرهاصات السّرد التّراث الأدبي العربي
* قراءة في مصطلح الحديث والمعاصر

**المحاضرة الأولى: قراءه في المصطلح.**

**مهاد:**

قبل الخوض في مضامين السّرديات الحديثة والمعاصرة من باب المنهجية المعرفية، وجب تقديم حدود بعض المصطلحات التي تعتبر مفاتيح مفاهيمية تيّسرّ فهم المضامين واستيعابها، نذكر أهمّها، فيما يأتي:

**السّرد:**

ورد في لسان العرب بأنّ السّرد هو تقديمه شيء إلى شيء تأتي به متّسقا بعضه في أثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السّياق له (...) وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه (...) وسرد فلان الصّوم إذا والاه وتابعه" ([[1]](#footnote-2))، أمّا معجم العين، فقد أورد فيه الفراهيدي تحت مادة (س ر د ): "سرد القراءة والحديث يسرده سردا، أي يتابع بعضه بعضا، والسّرد جامع للدّروع ونحوها من عمل الحَلَق، وسميّ سردا لأنّه يسرد فيثقب طرفا كلّ حلقة بمسمار (بشكل متساو ودقيق)، فذلك الحلق المُسرّد ([[2]](#footnote-3)) المنسوج بانتظام وتتابع وترتيب هو ما يشكّل الدّرع في الأخير.

من خلال هذا التّوصيف اللّغوي للمفردة حسب المعاجم العربية أمكن القول بأنّ السرّد يقتضي بالضّرورة دلالة التّتابع والانتظام، وحضوره الاصطلاحي يقتضي ضرورة هذه المدلولات، وكأيّ لفظة عربية تحمل مخزونا ثقافيا ثژا وقدرة على المطاوعة الدلالية، فقد اتسع استخدامها العربي ليشمل كلّ مجال يتوافر فيه التّراتب والنسيج والنظم والتتابع.

أمّا من النّاحية الاصطلاحية يكتسي مصطلح السّرد بدلالات مختلفة بحسب مجال الاستخدام ليبقى "السّياق الذي يستعمل فيه هو الخليق بضبط المعنى الدّقيق الذي يعنيه "([[3]](#footnote-4))، فالسّرد من منظور تلفظيّ هو: "النّشاط السّردي الذي يضطلع به الرّاوي وهو يروي حكايته ويصوغ الخطاب النّاقل لها"([[4]](#footnote-5))، وهو من زاوية الخطاب: طريقة مخصوصة في تقديم الحكي، أمّا من ناحية الصّناعة فهو يأخذ دلالة أوسع وأشمل فيطلق فيها: "على كلّ ما يتعلّق بالقصص فعلا سرديا أو خطابا قصصيا أو حكاية" ([[5]](#footnote-6))،وهي الدّلالة المقصودة تحت عنوان هذا المقياس الذي وردت فيه اللفظة بصيغة الجمع السّرديات العربية الحديثة والمعاصرة).

**إرهاصات السّرد التّراث الأدبي العربي:**

"السّرد العريي" هو الملفوف النّاظم الذي يجمع کن الفنون الحكائية العربية التي رهنها فعل القصّ واحتل فيها الرّاوي موقعا هاما في تقديم المادة الحكائية([[6]](#footnote-7))، وتحته تنتظم مجموعة كبيرة من الأشكال السّردية التي نذكر من قديمها العربي: الأسمار، وحکایات، الطرائف، القصص، الأيام، السير، المغازي، النّوادر المقامات، السّرد الصوفي، وغيرها من المنجزات التي تخلقت بحرف عربي في حقب زمنية مختلفة. والملاحظ أنّ كلّ "التّسميات السّابقة كانت محدودة وضيّقة عن الشّمول أو كانت تحكمها روی خاصة، وهذا ما جعلها غير دقيقة عكس المفهوم الجامع (السّرد). إنّه يرصد الظّاهرة في مجملها، ويسعی إلى الإحاطة بمختلف حيثياتها وملابساتها. ويغدو تبعا لذلك قادرا على جعلنا في إطار توظيفه التوظيف المناسب. لفهم الظّاهرة بصورة أحسن وأوضح "([[7]](#footnote-8)).

تتّفق الدّراسات العربية المتأخّرة على أنّ الخزانة العربية السّردية مصدر معرفي وفنّي لا تنضبّ عطاءاته، وهو ما يلزم بالعودة إليه والبحث فيه بشكل دائم ومستمر، وإنزاله المنزلية التي يستحقها، لأنّه مع ما أثاره من انتباه الدّارسين منذ عصر النّهضة بني رافدا للعديد من الرّؤى والمفاهيم التي تعكس مكانته وصيرورته الثّقافية، والإقرار بأنّه الدّيوان الحقيقي للعربي من طرف كثير من النّقاد، أو "القول بأنّه الدّيوان المزاحم للشعر على الصعيد الواقعي"([[8]](#footnote-9)) خير دليل على ذلك.

إنّ عودة كثير من الباحثين إلى السّرد العربي القديم، وبخاصة حين عملية التّأصيل للنّصوص المعاصرة على اختلافها، يعكس مكانة التراث السّردي، ولعلّ الحفاظ على كثير من الخصوصيات السّردية المتقدّمة كاف لإثبات ذلك، وهو ما جعل نصوصا عربية قديمة (بخصوصياتها تصل إلى مستوى العالمية ... وعلى درجة سامية من الإبداع الإنساني الرفيع"([[9]](#footnote-10))، فسميت بذلك نصوصا فوق العادة نحو (ألف ليلة وليلة كليلة ودمنة (بصورتها العربية البخلاء رسالة الغفران المقامات باختلاف مؤلفيها ... )، ومن هذه الخصوصيات التي أخذت صفة الدّيمومة، نذكر:

**الاهتمام بالمهمّش** : سرد خاص بالبخلاء وآخر الفقراء، وآخر يروي تجارب الرّحالة، وأخبار الثّائرين، وقصص المجانين ، وغيرها من الخطابات.

**عجائبية السّرد**: قامت بعض النّصوص السّردية العربية القديمة في بناء مضامينها السّردية على الخارق وغير المعقول، فتأتت بدلالات رمزية، تنضح بالأسرار، ومن ذلك رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، التّوابع والزّوابع لابن الشهّيد، ألف ليلة وليلة، وبعض النّصوص التي اتسمت بالصّوفية (...). وقد كان للعجائبية الأثر الكبير في نصوصنا السّردية الحديثة والمعاصرة، نحو ما نجده في أعمال حليم بركات والطّاهر وطّار وإميل حبيبي .

**التّصريح بالمحفّز** : يعني النّص السّردي القديم بناء على محفّزات خارجية (أي بطلب أو حاجة خارج نصيّة / تلبية لرغبة طالب للحكي مثلما نجده في الإمتاع والمؤانسة حين طلب أبو الوفاء المهندس من أبي حيان التوحيدي وصف مجالس أنس الوزير بن سعدان، وقد يبني النّص انطلاقا من محفزات داخلية أي بطلب من شخصية من شخصيات النّص على النّحو الذي نجده في ألف ليلة وليلة حين طلب شهريار من شهرزاد تقديم الحكي. به اعتماد نظام إسناد الرواية: يسند الرّاوي فعل الحكي إلى طرف آخر، غالبا ما يكون افتراضيا للتّحرر من قيود الحكي، واستقطاب المتلقي وإيهامه بالحقيقة، ولذلك نجد أنّ الحكي القديم عادة ما يستهل به "بلغتي" أو "زعموا".

**استخدام السّرد العنقودي:** ويتجلّى ذلك في كثير من النّصوص، أبرزها "ألف ليلة وليلة"، حيث يعمد الرّاوي إلى خلق قصة إطار (قصة شهرزاد و شهریار) تستوعب قصصا قصيرة تشكّل أطراف الحكي، لتنتّظم وتتناسل بحسب متواليات القصّة الإطار، وهذا النّوع من الحبك نجد له كبير الأثر في الرّوايات المعاصرة من مثل ما سبك به نص "أوان القطاف" للمصري محمود الورداني.

**إدراج الوصف والحوار:** احتفت النّصوص السّردية العربية القديمة كثيرا بالوصف والحوار، فوظفتهما بشكل لافت، باعتبارهما ركيزة لغويّة، وإضافة دلاليّة.

**قراءة في مصطلح الحديث والمعاصر :**

حين نتحدّث عن لفظتي الحديث والمعاصر نجد أنفسنا داخل إطار إشكالي يجمع الأدب العربي بكثير من الفروع المعرفية الإنسانية الأخرى، كالفلسفة وعلم النّفس وعلم الاجتماع وعلوم التّربية ... وهي جميعا تتنازع في دلالة الاصطلاحين، وتقدّم في المسألة كثيرا من الآراء ووجهات النّظر، بحسب الموقع والتّخصّص، وهي الآراء التي يمكن أن نجملها في قسمين رئيسين، هما:

• **الرّأي الأول**: لا يرى أصحاب هذا الموقف أي فرق بين الحديث والمعاصر، فهما بالنّسبة إليهم مصطلحان بدلالة واحدة، مترادفان ، تخلقا بطريقة عفوية لمسمى زمنّي واحد، يبدأ بدخول نابليون بونابرت مصر سنة 1798 إلى غاية يومنا هذا .

• **الرّأي الثّاني** : يذهب أصحاب هذا الموقف إلى القول بأنّ "الحديث " يبدأ من حملة نابليون على مصر 1798م، (وفي هذا يتّفقون مع أصحاب الرأي الأول )وينتهي بنكبة 1948م، ليبدأ عصر أدبي جديد واكب مستجدات ما بعد النّكبة، وهو ما أكسب نصوص الأدب التي لم تخرج عن سباقات إنتاجها الجديدة خصائص فنّية مغايرة جعلتها تدخل حيزا زمنيّا جديدا حمل لفظة ودلالة المعاصرة.

1. - این منظور، لسان العرب، دار صادر، بیروت - لبنان، (دت)، مج 03، مادة سرد، ص: 212 [↑](#footnote-ref-2)
2. - الفراهيدي، کتاب العین، تح مهدي المخزومي ولسامرائي، دار الهلال، القاهرة - مصر، (دت)، ج 17)، مادة: سرد، ص: 226 . [↑](#footnote-ref-3)
3. - حمد القاضي وآخرون، معجم الرديات، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط1، 2010، ص: 246 - المرجع نفسه. ص: 243- [↑](#footnote-ref-4)
4. - المرجع السابق. ص: 243 [↑](#footnote-ref-5)
5. - المرجع نفسه. ص: 246 [↑](#footnote-ref-6)
6. - ينظر : سعيد يقطين، السّرد العربي : مفاهيم وتجليات، دار روية، القاهرة - مصر، ط1، 1621 م،ص 86. [↑](#footnote-ref-7)
7. - المرجع نفسه، ص: 67. [↑](#footnote-ref-8)
8. - المرجع نفسه، ص: 70. [↑](#footnote-ref-9)
9. - المرجع السّابق، ص: 70. [↑](#footnote-ref-10)